



.
:

2010 8

.

.

:

-1

.

.

-2

-3

:

-1

-2

3- تم في مناخ دولي مطبوع بالانفتاح وبالشمول، هل يصح لنا اليوم التكلم عن عالم عربي، أم عن مجتمعات عربية، يتميز شبابها بقواسم مشتركة، ولكن لهم خصوصيات يتوجب استكشافها ودراسة آثارها على وعيهم الجماعي وانعكاساتها على تمثلاتهم لانتمائهم للمجال العربي.

إن هذه التساؤلات تجرنا في العمق إلى طرح قضايا ذات أهمية قصوى بالنسبة لإشكالية الهوية والقيم. ويمكن تلخيص هذه القضايا في مستويين رئيسيين :

1- **المستوى الأول**، يتعلق بمن ينتج الهوية والقيم اليوم في المجتمعات العربية. هل المدرسة، أم الأسرة، أم الدين، أم وسائل الإعلام، أم تكنولوجيات الاتصال الحديثة، أم الأحزاب السياسية، أم الجمعيات المدنية، أم المقولة أم "الشارع" كفضاء للعيش والتعبير عن الممارسات الاجتماعية اليومية؟ أم هذه المؤسسات جميعها كل واحدة حسب طبيعتها وأشكال تأثيرها في المجتمع؟

2- **المستوى الثاني**، يتعلق بمعرفة أين تتجلى المكونات الأساسية للهوية والقيم. هل في اللغة، في طرق التغذية، في أنماط اللباس، في المعمار والتراث، في التعبيرات الرمزية من موسيقى وفنون، في أشكال التعبير عن الوجود كالدين والأخلاق والفلسفة، أو في طرق تنظيم وتدبير شؤون المجتمع، والمرتبطة بطبيعة المؤسسات، وبالتعامل مع حقوق وحرريات الأفراد والجماعات سواء أكانت أحزاب سياسية، أو جمعيات مدنية، أو هيئات مهنية.

وهذا ما يطرح إشكالية ضخمة بالنسبة للعالم العربي مفادها معرفة أي مجتمع يريد العرب بناءه، وفي أي مجتمع يريد الشباب العربي أن يعيشون اليوم، وكيف يجب على العالم العربي وعلى شبابه أن يتعامل مع مناخه الخارجي ومع الآخر، حضارة، ثقافة، ديناً، ونموذجاً للتنمية.

وبعبارة أخرى إذا كان العالم العربي مطالب أن يتفاعل مع محيطه الخارجي من جراء عولمة الاقتصاد وشملة المبادرات، ما هي الثوابت التي يجب أن يحافظ عليها شبابه (الدين، اللغة، التراث، المعمار، والفنون بجميع أشكالها؟)، وماذا يمكن ويجب تغييره (المؤسسات، التكنولوجيات، أنماط الإنتاج والتدبير؟).

فإن كان الشباب العربي مدعو أن يساهم في الإجابة عن هذه الإشكاليات الضخمة، فإن مسؤولية النخب العربية تبقى كاملة في هذا المجال.

وفي هذا الإطار، فلقد سبق لنا (الاتحاد الاشتراكي، عدد 8882 بتاريخ 28 ماي 2008) أن لاحظنا أن الشباب لم يبقى غير مبال إزاء هذا الوضع الذي يطرح عليه بحدّة إشكالية الهوية والقيم. هكذا أبرزنا أن هناك عدة أصناف من الشباب تتعدد تعاملاتهم مع هذه الإشكالية حسب تنوع اختياراتهم.

فهناك شباب اختار العمل السياسي للتعبير عن قيمه وقلقه وهمومه وآلامه وآماله وطرق تغيير واقعه وأوضاع مجتمعه؛ شباب اختار العمل المدني داخل جمعيات غير حكومية؛ شباب اختار الإبداع بمختلف أشكاله التعبيرية من كتابة وبحث علمي وشعر وموسيقى وفنون تشكيلية ومسرح وسينما ورياضة؛ شباب اختار الدين لإيجاد الأجوبة عن التساءلات التي يطرحها عليه وجوده؛ شباب اختار المبادرة المقاولانية والمخاطرة الاستثمارية للتعبير عن ملكاته في خلق الثروة الاقتصادية؛ تم شباب يعيش على هامش المجتمع من جراء وضعيته الاجتماعية، ينتج عنها غالباً سلوكات تؤدي إلى الانحراف والجريمة وتعاطي المخدرات وكذا إلى أقصى أشكال الهروب إلى الأمام كالجوء إلى الانتحار وإلى الهجرة في أبعادها الغير الشرعية والقاتلة.

فأمام انعدام دراسات ميدانية شاملة ودقيقة من الصعب جداً معرفة الأهمية الديمغرافية لكل صنف من هؤلاء الشباب على حدّ.

لكن الأهم من هذا كله هو أن إشكالية الهوية والقيم لدى الشباب العربي خاصة والشباب عامة يوحى بثلاثة خلاصات نوّك مجدداً عن أهميتها:

1- كلما تحركت الدولة والمجتمع في اتجاه الشباب كلما انخرط الشباب داخل المؤسسات، وأمنوا بجدواها، وساهموا في تفعيلها. ويعني هذا المعطى أنه كلما عرضت على الشباب بكل أصنافه فكرة، أو قضية، أو مشروع جاد، مجدي وواقعي وواعد كلما تملكه الشباب وجعلوا منه فكرتهم وقضيتهم ومشروعهم.

2- العالم العربي وشبابه يمران اليوم بمرحلة دقيقة تحمل العديد من المخاطر والتحديات، بدأت تزعزع هويتهم وتزرع قيما دخيلة على ثقافتهم وحضارتهم. فالنخب العربية والشباب العربي مدعو اليوم أكثر من أي وقت مضى أن يعي أن العالم سوف لن ينتظرهم. مما يحتم على كافة المكونات الحية للمجتمعات العربية تطوير ثقافة الفعل واليقظة والمشاركة لدى الشباب.

3- إن المؤسسات التي تنتج الهوية والقيم، وعلى رأسها الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام والاتصال، وكذا المؤسسات التي تأطر الشباب، وعلى رأسها الأحزاب السياسية والجمعيات المدنية مطالبة كل واحدة من موقعها أن تطور لدى الشباب ثقافة الحياة، ثقافة مبنية على المبادرة والمسؤولية والالتزام بقضايا مجتمعه، ثقافة تسلح بوسائل المناعة الضرورية لصيانة هويته وقيمه الحضارية والثقافية.

وهذا ما يتطلب حكمة جديدة للشأن الشبابي قوامها معرفة عميقة لقضايا الشباب، والاستماع إليهم، والاستثمار فيهم، وإشراكهم في العملية التنموية، وتنظيمهم مؤسسيا حول الاختيارات والأوراش الكبرى للمجتمع، وذلك في أفق تحويلهم إلى نخب المستقبل. ففي هذه الأبعاد تكمن الشروط الموضوعية لبناء هوية عربية قوية وقيم مبنية على الحفاظ على القواسم المشتركة للأمة العربية وعلى رأسها وحدة اللغة والعقيدة والتراب والمصير.

Dr. Driss Guerraoui is a professor at the Mohammed V University in Rabat. He is also the social affairs advisor to the Prime Minister in Morocco. He has directed and authored countless book projects on youth in Morocco and North Africa and on the economic strategies of emerging economies. An economist by training, he has been awarded three distinctions from UNDP-Morocco, UNESCO and the French Republic.

Email: DGUERRAOUI@pm.gov.ma